

عظة تأبينية ألقاها البروفسور سليم دكاش اليسوعي، رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت، في القداس الذي أقيم لذكرى سليم جاهل، الوزير السابق والمحاضر في كلية الحقوق، يوم السبت الواقع فيه ١١ أيار (مايو) ٢٠١٩، في الساعة الثانية عشرة ظهرًا، في كنيسة القديس يوسف.

بتأثر بالغ نلتقي هنا، هذا الصباح، مع الأقارب والأصدقاء والزلاء لنتنكر سليم جاهل ونعيش معًا وقت صلاة بتضامن وإيمان. مثله، كلمة الله هي التي توحدنا وتوجهنا اليوم وفي جميع الأوقات، وكلمة الله هي التي أصبحت إفاخرستيا تغدينا.

هذه الكلمة المستمدة من قراءات يوم السبت هذا قد تقاجننا للوهلة الأولى، لكنها تترك لنا رسالة لا لبس فيها أنّ الرسل يعلنون في نهاية الإنجيل وهم يتوجهون إلى يسوع : "لديك كلمات الحياة الأبدية". سليم جاهل، رجل الكلمة الحكيمة، تأمل هذه الكلمة وعاشها. أسوةً بالقديس بطرس، القوي بهذه الكلمة، أعلن خلال حياته النشطة كمناضل وكقاضٍ ورجل دولة وأستاذ، ثقته في يسوع. إنه يدعونا اليوم للتأمل في الكلمة لأنها الحياة والنور والمحبة.

١. مار بطرس مذهل

نرى في التذكارات أنّ كتاب أعمال الرسل يروي هنا، في القراءة الأولى، تحوّل القديس بطرس. إنه بطرس الخائف الذي أنكر يسوع وأصبح على رأس الرسل، يجوب عبر فلسطين ولا يستطيع أن يمنع نفسه، كما قال أمام السلطات اليهودية، من أن يعلن أنّ يسوع الذي صُلب وقام من بين الأموات، هو حيّ وفاعل.

إنّ المعجزات مثل تلك التي سردت في صفحة القديس لوقا هذه هي علامات تدعونا إلى النظر إلى يسوع الذي يقول بطرس والرسل أنّهم تلاميذه. ليس لديهم شيء لإثباته. إنهم فقط رسل.

قد نتأثر بالزخم الموجود في بدايات الكنيسة، لكنّه واقع. كان الرسل والمسيحيون الأوائل ممثلين من الروح القدس وكانوا يتركون كلّ المساحة لقوة المسيح القائم من الموت. بطرس هو المثال الأكثر لفتًا للنظر. بعدما عانى من آلام يسوع، إرتفع بنعمة الروح القدس، ومن الآن وصاعدًا لن يتوقّف أبدًا.

حافظ سليم جاهل، يومًا بعد يوم، وبطريقة سليمة، على هذا الشغف تجاه بلده، الذي هو أكثر من وطن، هو رسالة سلام واحترام للتعددية. إهتمامه المستمرّ بالقانون المقارن والشريعة كان يُخفي هذا الشغف بلبنان باعتباره بوتقة ينصهر فيها التعايش ويشهد للديمقراطية ودولة القانون في منطقة يمزقها التطرف. كانت حياته زخمًا من النضال من أجل فكرة لبنان والإنسان هذه.

٢- ثقة قائمة على أسس

على أيّ أساس يقوم هذا الزخم ؟ يمكن أن تتخذ الإجابة عدّة اتجاهات، لكنّها تقتصر على كلمة واحدة : الثقة. الثقة التامة بشخص واحد عرفه الرسل ولمسوه، بل آمنوا به بكلّ قواهم. يسوع بالنسبة إليهم ليس أختاً وصديقاً ومعلماً فحسب، إنّهُ من كشف لهم عن محبة الله للعالم. إنّهُ يحمل رسالة الله إلى العالم. إنّهُ يجسّد في العالم محبة الله لكلّ فرد. إنّهُ الكلمة التي يذكّرنا بها البابا فرنسيس دائماً، كراخ صالح، على أنّها حقيقة رائعة.

بالنسبة إلى سليم جاهل، إنّهُ الكلمة التي يمكنها أن تهب الحياة كما يؤكّد علم النفس الحديث. قبل بضعة أيّام، كنت أقرأ ما أعلنهُ لمجلة "بيريت" Beryte التابعة لرابطة قدامى كليّة الحقوق : من أجل البقاء والاستمرار، يجب الاستمرار في العيش". هو نفسه، وصديقه الأب جان دوكروييه وعائلته المقربة وأصدقائه في النضال، جعلوا روح المقاومة والحياة تنمو على رغم كلّ شيء بفضل هذه الكلمة. قوى الموت تدمر يوماً، وقوى الحياة تعيد بناء اليوم التالي. سليم جاهل، ذلك التلميذ الجدير المتمرس على يد كبار رجال القانون والأساتذة البارزين مثل بنوا أرين Benoît Arène وجان شوفالييه Jean Chevalier، وشارل فابيا Charles Fabia، وإميل تيان الذين علّموه الصرامة وقوة القانون اللانهائية والقدرة على التفكير، كانت لديه ثقة تامة برّبهُ مثل القديس بطرس : "إلى من نذهب وكلام الحياة الابديّة عندك ؟"

كم هي رائعة دعوتنا الإنسانيّة والمسيحيّة : أن نصبح أكثر وأكثر ما أرادهُ الله لنا منذ الأزل كشهود للحقّ والجمال في محبته الأبويّة ! سليم جاهل هو رسول هذه الدعوة.

٣- طريق مفتوحة

أيّها الأصدقاء الأعزاء، إنّ كلمات يسوع تفتح لنا طريق الالتزام المسيحيّ الحقيقيّ. لأنّها تدعو باستمرار كلّ إنسان لإعادة الاتّصال بما يحيي، في أعماق ذاته، للعودة إلى القوة العميقة التي تحته على الرجاء، ليس بعالم أفضل، ولكن بأنّ المحبة ستكون دائماً أقوى من الكراهيّة، وتحته على أن يكون خادماً لقيم المعلم، ابن الإنسان، وعلى أن يحبّ، خاصة في الأوقات التي يشير له فيها أحد الأشخاص بأنّه يحتاج إلى أن يكون محبوباً، ويجعله يثق بأصدقائه وأقربائه. سليم جاهل، لقد جعلت هذا الدرب المفتوح سالماً من خلال قوتك التي لا تُنسى والتي تُعتبر أمثلة للأجيال الحاليّة والقادمة، لأولئك الذين يريدون أن يكونوا في خدمة الدولة والقريب.

خاتمة

في ختام هذا التأمّل، لا يمكنني إلا أن أنتقل إلى سليم جاهل الذي يكرّر اليوم كلمات المزمور الذي استمعنا إليها ورثناها مع لازمته : "ماذا أردّ للربّ من أجل كلّ حسناته لي ؟" (مزمور ١١٦). أستاذ سليم جاهل، تلك كانت ترتيلتك وإعلان إيمانك القائم على أساس الثقة التامة التي تنتج فرح أن تكون مع الربّ. من خلال إحساسك بالخدمة غير المحدودة، أعدت إلى الربّ ما قدّمهُ إليك من مواهب. السعادة في الله، لقد عشتها بمحبّتك للعائلة والأصدقاء. سوف ترافق ذكراك تاريخنا، تاريخ جامعة القديس يوسف في بيروت، وكليّة الحقوق وتاريخ لبنان لفترة طويلة. مبارك اسم الربّ إلى أبد الأبد، أمين.